

نسق الأمومة المضمر في السرد النسوي الجزائري: قراءة في المجموعة القصصية
حريم زحل "لزينب لوت

The Implicit Maternal Patterns in Algerian Feminist Narrative: A
Reading of Zineb Lout's "Hareem Zuhal"

نعيمة بوسكين

كمال جهرة*

جامعة عنابة

جامعة الطارف

مخبر التراث و الدراسات اللسانية جامعة الطارف
مخبر التراث و الدراسات اللسانية جامعة الطارف

naima.boussekine@univ-annaba.dz

K.djahra@univ-eltarf.dz

تاريخ القبول: 2026-01-25

تاريخ الإرسال: 2025-10-20

ملخص:

في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها المجتمع الجزائري، برز السرد النسوي بوصفه فضاءً كاشفًا للأنساق الثقافية الكامنة التي تُوجّه الوعي الجمعي وتعيد تشكيل تمثيلات الهوية الأنثوية. ومن بين هذه الأنساق، يبرز نسق الأمومة بوصفه محورًا رمزيًا واجتماعيًا يتجاوز الدلالة البيولوجية ليغدو بنية ثقافية تُحدّد علاقة المرأة بذاتها وبالأخر تسعى هذه الدراسة إلى رصد وتحليل نسق الأمومة المضمر في المجموعة القصصية "حريم زحل" للكاتبة زينب لوت، من خلال قراءة تفكيكية تأويلية تتجاوز الظاهر السردى نحو البنى الثقافية المضمرّة التي تحكم تشكيل النصوص. تكشف القراءة أن الأمومة عند زينب لوت ليست مجرد حضور جسدي أو عاطفي، بل هي نسق ثقافي متجذر يتخلل الشخصيات والأحداث ويوجه العلاقات الإنسانية داخل النص، فيتحول إلى قوة رمزية تمنح المرأة مشروعية الوجود والمقاومة في مواجهة النسق الذكوري. تُبرز الدراسة أن هذا النسق يتجلى في ثلاثة مستويات:

1. الاجتماعي: من خلال إعادة تعريف مكانة المرأة الأم في البنية الأسرية.

*- المؤلف المراسل.

2. النفسي: عبر رصد التوتر بين الرغبة في الاحتواء والخوف من الفقد.
 3. الرمزي: في الأمومة كحالة ثقافية تُمكن المرأة من مقاومة التهميش بالحنو والعطاء.
- وتخلص الدراسة إلى أن زينب لوت أعادت عبر "حريم زحل" إنتاج خطاب أنثوي جديد يجعل من الأمومة قيمة جمالية ومعرفية تتقاطع فيها الذاكرة والهوية والوعي، لتغدو أداة تفكيك وإعادة بناء لخطاب المرأة في الأدب الجزائري المعاصر.
- الكلمات المفتاحية:** السرد النسوي؛ زينب لوت؛ حريم زحل؛ الأمومة؛ النقد الثقافي؛ النسق المضمر.

Abstract:

In light of the social and cultural transformations experienced by Algerian society, feminist narrative writing has emerged as a revealing space for the underlying cultural structures that shape collective consciousness and reconstruct representations of female identity. Among these structures, the matrix of motherhood stands out as a symbolic and social axis that transcends biological meaning to become a cultural construct defining a woman's relationship with herself, the other, and society at large.

This study seeks to analyze the manifestations of the implicit matrix of motherhood in Zineb Lout's short story collection *Hareem Zuhal*, through a deconstructive and interpretative reading that moves beyond the surface narrative to uncover the latent cultural frameworks governing the formation of the text.

The reading reveals that motherhood, in Lout's vision, is not merely a physical or emotional presence, but rather a deeply rooted cultural system that permeates characters and events, guiding human relationships within the narrative. It emerges as a symbolic force that grants women legitimacy of existence and resistance against the dominant patriarchal order.

The study highlights that this matrix manifests itself on three interrelated levels:

- Socially: through the redefinition of the mother's place within the family structure.
- Psychologically: through the tension between the desire for containment and the fear of loss.
- Symbolically: through motherhood as a cultural state that enables women to resist marginalization through tenderness and giving.

The study concludes that Zineb Lout, through *Hareem Zuhal*, reconstructs a new feminine discourse that transforms motherhood into an aesthetic and epistemic value where memory, identity, and consciousness intersect, making it a tool for deconstructing and reconfiguring women's discourse in contemporary Algerian literature.

Keywords: Feminist narrative; Zineb Lout; Hareem Zuhail; Motherhood; Cultural criticism; Underlying pattern.

مقدمة:

في خضم التحولات الاجتماعية والثقافية التي شهدها المجتمع الجزائري خلال العقود الأخيرة، أدى السرد بكل أشكاله دور المرأة، التي تعكس خفايا البنية الثقافية وتمثالاتها الرمزية؛ فالقصة الجزائرية المعاصرة، بما تحمله من أبعاد سردية ودلالية، لا تكتفي بتقديم الواقع كما هو، بل تتجاوز ذلك إلى كشف الأنساق الثقافية الكامنة التي تشكل الوعي الجمعي وتوجه السلوك الاجتماعي، وغالبًا ما تتجلى هذه الأنساق في صور غير مباشرة، مضمرة خلف عباءة الجمالي، تحتاج إلى قراءة تأويلية تفكيكية لكشف دثارها، وفهم بنيتها العميقة.

ويُعد نسق الأمومة من بين أكثر الأنساق أهمية وفاعلية في النصوص السردية، إذ يتقاطع فيه الاجتماعي بالرمزي، والذاتي بالجماعي، ويستثمر في تشكيل ملامح الهوية وتوجيه الخطابات المتعلقة بالمرأة والأسرة والوطن، وهو من أكثر الأنساق المتغلغلة في النتاج الإبداعي النسوي لا سيما الجزائري.

ومن بين الكاتبات الجزائريات اللواتي امتطين ظهر الإبداع السردية عموماً والقصة خصوصاً الكاتبة زينب لوت، والمتتبع لنتاجها السردية يلمس فيه لذة اللغة وجمالية التلقي، فيراها تصطاد بقلم واحد عصفوري الأصالة والعصرنة، واللافت في الأمر أنها لا تتوقف عند الفنية الأدبية للسرد أو القصة وامتاع المتلقي بل تمرر رسالات خلف عباءة الجمالي فهي تكتب باستراتيجية تخول لها نقل الرؤية الأنثوية للآخر، وذلك بجعل المرأة محور القص أحياناً، وأحياناً أخرى، بإقصائها لها، ولتجاربها، وقضاياها حتى يظن الظان أنها لا تنظر بتاتا لهذا الأمر فضلاً أنها تنتصر له، بينما حين يفكك نصوصها، ويضعها تحت مجهر التشريح، يجد أنها توظف الألفاظ والتراكيب كمطايا لمضمرة القول، الحاملة في طياتها العديد من قضايا المرأة لا سيما قضية الأمومة، ثم إن المرأة عندها غالباً هي الموضوع الذي يحتل مفاصل السرد والقص في نتاجها الإبداعي.

من هنا، يتخذ هذا المقال المجموعة القصصية "حريم زحل" مدونة له، للتنقيب فيها عن "نسق الأمومة" كونها النموذج لتحليل الكيفية التي تتجلى بها الأنساق الثقافية المضمرة في القصة الجزائرية المعاصرة، ساعياً إلى تفكيك تمثيلات الأمومة الخفية في النصوص السردية، ورصد دلالاتها وكيفية سيطرتها على سيرورة الأحداث كنسق مضمّر.

ومن هذا وذاك يسعى المقال للإجابة على الإشكالية التالية:

إلى أي مدى سيطر نسق الأمومة المضمّر في المجموعة القصصية "حريم زحل" للكاتبة
زينب لوت ؟

1. رصد المفاهيم

قبل فتح دفتي المجموعة القصصية والولوج إلى أنساقها نحاول التعرّيج عن أهم
المرتكزات و المفاهيم النظرية للنسق الثقافي المضمّر

1.1. ماهية النسق:

أ- النسق لغة:

تُعَدُّ لفظة "النسق" من الكلمات ذات الجذور العميقة في اللغة العربية، والتي تختلف استعمالاتها لتشير إلى دلالات متعددة، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: "أن النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء"¹ أي مترابط ومتوافق. أما الزمخشري في أساس البلاغة فقد أورد: «نسق الدر وغيره ونسقه ودر منسوق ومنسق ونسق وتنسقت هذه الأشياء وتناسقت، ومن المجاز كلام متناسق وقد تناسق كلامه وجاء على نسق ونظام»² أي معتدل ومرتب.

¹ - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب، تج: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت-لبنان، مادة (ن س ق)، مج 2003، ص 424.

² - الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد) أساس البلاغة، تج: محمد باسل عيون، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، ج2، 1998، ص266.

من هذه التعريفات نجد أن معنى كلمة نسق متقاربة فيما بينها وهي لفظة توحى إلى :
التنظيم والترتيب والتركيب والاتساق والترابط، والتتالي والتناظم.

ب- النسق اصطلاحاً

تعددت التعريفات الاصطلاحية للنسق بين النقاد في التخصص الواحد ناهيك عن التخصصات المختلفة فالنسق عند ادith كريزويل هو "نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلا موحدًا، وتقترن كليته بأنيّة علاقته التي لا قيمة للأجزاء خارجها، وكان "سوسير" يعني بالنسق شيئاً قريباً جداً من مفهوم البنية"¹. فهي إذا تصف النسق بأنه كل موحد بين جزئيات منقطعة الارتباط، مع الأجزاء الكامنة خارج ذلك الكل.

أما الناقدة اللبنانية يمنى العيد فقد رأت في كتابها تقنيات السرد الروائي أن النسق هو "ما يتولد عن اندراج الجزئيات في السياق، أو هو بنيوي ما يتولد من حركة العلاقات بين العناصر المكونة للبنية"²

نفهم من هذا التعريف أن النسق حسب يمنى العيد، هو الفعل الناتج من حركة العلاقات بين البنيات المترابطة، مثل العلاقة بين الجزئيات المتماثلة في مجموعة الألوان أو الخطوط في شكل موحد، وذلك الناتج هو المسى نسقا.

2.1. النسق الثقافي:

بعد أن اتضح لدينا فيما سبق مفهوم النسق ومفهوم الثقافة نقرب الآن من جوهر النسق الثقافي الذي يعد قطب الرحى في هذه الدراسة وأساسها الإجرائي.
ذهب كلود ليفي شتراوس إلى أن "نقل مصطلح النسق إلى المحيط الثقافي لي طرح فكرة أن الأبنية الاجتماعية الملموسة، والظواهر الثقافية المختلفة إنما هي محكومة ببنيات وقوانين خفية كامنة في اللاوعي الإنساني"³

¹ - ادith كريزويل، عصر البنية من ليفي شتراوس الى فوكو، ترجمة جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993، ص415

² - يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 320

³ - سعد علي المرعب جعفر ، النقد الأنثوي، ديوان عبلة بنت المهدي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، 2018، ص55.

فهو يصف دخول مصطلح النسق إلى حقل الثقافة بأنه إنجاز هام وضروري وذلك بغية إثبات أن التشاكل الاجتماعي المحسوس، ومختلف السمات الثقافية مدفوعة بأسس، وتسطيرات خفية، وأن من يحكمها هو اللاوعي البشري.

ويعرف علي محمد السلمي النسق الثقافي بأنه "مجموعه من القوانين والقواعد العامة التي تحكم الانتاج الفردي للنوع وتمكنه من الدلالة"¹. ويصفه بأنه ليس نموذجاً ثابتاً، بل له أسسه ومزايه التي تتغير حسب الظروف المواقبة، فيقول "ولما كان النسق تشترك في انتاجه الظروف الاجتماعية والثقافية السائدة، فإن النسق ليس نظاماً ثابتاً وجامداً انه ذاتي التنظيم من جهة ومتغير يتكيف مع الظروف الجديدة، من جهة ثانية، أي إنه في الوقت، الذي يحتفظ فيه ببنياته المنتظمة يغير ملامحه عن طريق التكيف المستمر مع المستجدات الاجتماعية والثقافية"²

3.1. النسق الثقافي المضمر:

يوجد للنسق تمظهران في النص الأدبي هما: النسق المعلن (الظاهر)، والآخر النسق المضمر (الخفي)، وهذان النسقان متلازمان داخل النص، والنسق المعلن (الظاهر) هو محل اهتمام النقد الأدبي، أما النسق المضمر يقتضي إجرائياً أن نقرأ النص، قراءة من وجهة نظر النقد الثقافي؛ لأنه "بنية مركّبة مهيمنة، دلالتها ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها منغرسه في الخطاب، مؤلفتها الثقافية، ومستهلكوها جماهير اللغة"³. ويتميز النسق المضمر بالمراوغة، وقدرته تجاوز الجانب الجمالي والبلاغي في النص الأدبي.

والنسق المضمر هو "تركيبية اجتماعية منغرسه في أعماق الخطاب، تعبّر عن الصورة الاجتماعية والثقافية لمجتمع ما يصعب اكتشافها بالقراءة السطحية كونها تختبئ خلف

¹ - علي محمد السلمي، تحليل النظم السلوكية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، القاهرة، مصر، 1995، ص33.

² - علي محمد السلمي، تحليل النظم السلوكية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (دط)، القاهرة، مصر، 1995، ص33.

³ - عبد الله الغدّامي: النقد الثقافي-قراءة في الأنساق الثقافية العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2005، ص 79.

السطور"¹، ويرى عبد الله الغدامي بأنه "ذو طبيعة سردية يتحرك في حبكة مقننة، لذا فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائماً، ويستخدم أقنعة كثيرة أهمها قناع الجمالية اللغوية."²

وتكمن أهمية النسق المضمر في أنه هو الذي يوجه سلوكيات المبدع الاجتماعية والفنية؛ فيكون من الصعب مخالفته حين يتم التشرب من السياق الثقافي والإيديولوجي، لأنه ليس مجرد معطيات يتم نقلها، وإنما هو منظومة من الأفكار متكاملة تشكل بنية ذهنية، لا تظهر في الخطاب بشكل جلي إلا بممارسة النقد الثقافي في تحليل هذا الخطاب، وهو ما يؤكد "الغدامي" في قوله: "لقد تمكّن النسق المضمر من التغلغل غير الملحوظ، وظل كامناً هناك في أعماق الخطابات، وظل ينتقل ما بين اللغة والذهن البشري فاعلاً أفعاله من دون رقيب نقدي".³

2. الأمومة و الكتابة النسوية:

يتفق القاصي والداني، والكبير والصغير، والبصير والضير، على أن الأم هي الركن الركين، والنواة التي تتشكل منها الأمم والمدرسة التي تتربى على يديها المجتمعات، كما يصفها شاعر النيل حافظ إبراهيم بقوله:

الأم مدرسة إذا أعددتها *** أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روضٌ إن تعهده الحيا *** بالري أورك أئما إيقاق
الأم أستاذ الأساتذة الألى *** شغلت مأثرهم مدى الأفاق

وهي أساس الديمومة والبقاء في هذه الحياة فهي الرفيق الملازم المتكرم عطاء ودعاء والكيان الحاضر دوماً في التقرير والتدبير، ولا زالت الأيقونة المثلى والأرقى لدى كل البشر بمختلف الأزمنة والمعتقدات، وفي جميع الثقافات والإيديولوجيات فقد ورد في دين الاسلام "أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك؟ فقال: هل لك من أم؟، قال: نعم، قال: فالزمها؛ فإن الجنة تحت رجلها"

¹ - سماح عبد الفران، ثقافة النص، قراءة في السرد اليميني المعاصر، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع،

عمان، الأردن، ط1، 2016، ص 17.

² - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 79

³ - عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 72.

نسق الأمومة المضمر في السرد النسوي الجزائري: قراءة في المجموعة القصصية "حريم زحل" لزنب
لوت

وفي ذلك تصريح واضح على أن طاعتها، وحسن صحبتها لا جزاء له إلا الجنة وهذه
مكانة لم يحظ بها غيرها في دين الإسلام.

وقال عنها الأرمن: "عندما تموت الأم، فإنها تأخذ معها الشمس"، بينما قال عنها
الهنود: "عندما تموت الأم تأخذ معها ضوء الحياة"، وقال عنها الروس: "إنها تأخذ معها الطفولة
".

ولا ضير في أن تتبوأ تلك المكانة لما تهبه من خير وفير وخدمة لكل من يحوطها من أفراد
ابتداء بالمرعاة والمناغة والحماية الجسدية إلى التعزيز النفسي والمعنوي والتضحية بالغالي
والنفيس بدون انتظار رد للجميل، وقد شهد ابن عمر رضي الله عنهما ورجل يمانّي يطوفُ
البيتَ حملَ أمّه وراء ظهره يقول: إني لها بغيرها المدلل، إن دَعَرْتُ رِكاظها لم أذعر، ثم قال: يا بنَ
عُمَرَ، أتراني جَزَيْتُها؟ قال: لا، ولا بَرَفَرَةٍ واحدة "، والزفرة هي تردد النفس لحظة وضع المرأة
لحملها (الولادة)، لذلك فهي الشخص الذي لا نستطيع رد جمائله وفضائله مهما سعينا إلى
ذلك، وهي الشخص المزروع فينا في الأفعال والأقوال.

ولأن الإبداع الأدبي هو مرآة المجتمع العاكسة لأيامه وأحواله، فقد اتخذت تيمة الأم
مكانة جوهرية ومحوورية في الخطاب الإبداعي، لاسيما النسوي لما تحمله من أهمية سامية في
أرض الواقع وفي المجتمعات النصية، وما لها من قوة الحضور ودينامية تحريك السرد
وسيرانه، وقد انشطر التوجه في هذا الباب إلى فريقين متنازعين، فريق لخص هوية المرأة في
وظيفة البيولوجية، فصار الإنجاب من أجل التكاثر لضمان البقاء البشري سمة ثقافية،
الأمر الذي تبناه الفكر الأبوي ليزيد سطوته وسلطته على المرأة، وفريق سعى إلى الانتصار
لسمة الأمومة كسلطة مضادة.

وكما هو مستفيض عند أهل الأدب أن الإبداع يولد من رحم الألم، والألم بطبيعة
الحال ليس حكرا على المنكوب نفسه، بل يعبر عنه حتى غير المنكوب، خاصة إن كان صاحب
عاطفة جياشة، وخيال واسع، ومنه فإن الكاتبة الأنثى تكون أمهر وأقدر، في بث لواعج الأسى
و بسط التجارب الخاصة.

والجدير بالذكر، أن نسق الأمومة فرع متين ومعول معين في الإبداع النسوي، وذلك
لأنه يمس كل جوانبه وينبثق منه، فإذا كانت الكتابة النسوية "مصطلحا يستشف منه افتراض
جوهر محدد لتلك الكتابة بتمايز بينها وبين كتابة الرجل"

أي مجموع الإبداع الأدبي الصادر من أنثى، المختلف عن الإبداع الذكوري، فإن هذه الأنثى الكاتبة لا تكون إلا أما، أو مشروع أم لما تحمله من طبائع فزيولوجية و نفسية استعدادا للأمومة.

وإذا كان مصطلح الكتابة النسوية يشير إلى "أن يكون النص الإبداعي مرتبطا بطرح قضية المرأة و الدفاع عن حقوقها"

أي أنها كل خطاب إبداعي يجعل الذات الأنثوية موضوعا له، يطرح مأسها ويعالج معضلاتها، كما يتبنى بأمانة وإتقان قضايا المرأة، فمن هذا تعتبر الأمومة من أخص خصائص هذه القضايا.

والمرأة كائن خارق وكيان عصي الاستقرار في الواقع و في النصوص الإبداعية و النقدية (كاتبا أو مكتوبا عنه)، فبقدر قوة حضورها بقدر قوة إثارتها للجدل، هذا عن المرأة الأنثى العادية، فكيف العمل معها حين تلبس لباس الأم و تصطبغ بصبغتها، وتكون نسقا مضمرا يتماهى مع الصبغ الأدبية، ويموه ويمارس المخاتلة بكل تقنياتها .

3. نسق الأمومة المضمهر في المجموعة القصصية (حريم زحل)

يتناول هذا الجزء الجانب الإجرائي من الدراسة، إذ يعنى بفحص البنى السردية وما ينطوي تحت الخطابات المتوارية، فعندما نتعقب القصة الموسومة بـ (خارج نطاق التغطية) والتي تروي كيف يتزوج سامر الشيخ الكبارة بالشابة آمال، ذات العشرين عاما كزوجة ثانية لأن زوجته عاقر، تاركة خلف ظهرها مراد الشاب البطال، الذي كان يريد لها ولم تسعفه الظروف المادية، ففسخت خطبتها منه، لم تنظر أحلام خلفها وبقيت مغمضة عينها حتى حملت وفقدت جنينها، ذلك ما تزامن مع حمل صرتها (الزوجة الأولى) و هي في سن الخمسة و الأربعين سنة، لتري في أعين سامر و صمته رسائل الاستغناء و الرغبة في طردها، فرحلت تجر أذيال الخسران ...

إننا نعلم بديهية أن طبيعة النفس البشرية هي الرغبة في الجديد و التجديد، فتبحث عنه و تنقب عليه، و تسعد به وتسعى جاهدة إليه، و ذلك ما يفعله شخص يدخل حياتنا فيكسر الملل ويغير الجو القائم القاتم المعتاد الثابت، وذلك ما تفعله الزوجة الثانية في بداية المشوار، ناهيك عن فارق السن الذي يلعب الألعيبه في السيطرة على قلب الرجل من طرف الزوجة الجديدة، إن أي قارئ لمشهد رجل مسن يعيش مع زوجة تقاربه في السن، يعيش معها روتين الحياة اليومية الخالية من الأولاد، وتدخل حياته شابة فتية مفعمة بالحياة، وتحمل

منه، ستصير حتما الأقرب إلى قلبه، لكن في هذه القصة كُسر أفق التوقع، وطُردت الفتاة أو الزوجة الثانية، بطريقة فيها احتقار وخروج من الباب الضيق، وذلك بسبب فقدانها لحملها وحمل الزوجة الأولى وهي في سن الخامسة والأربعين من عمرها، من هذا يتضح أن نسق الأمومة لعب دور المرجح لكفة الاهتمام، و الرافع للمكانة التي تكتسبها المرأة، اجتماعيا و عاطفيا، فبالرغم من فقدان الزوجة الأولى لكثير من مؤهلات المنافسة، أمام خصمها المدجج بأسلحة الدمار الشامل، إلا أنها انتصرت بمجرد أن حملت، وصارت الأمومة تاجا بوأها منصب الملكة، وطرده منافستها خارج قلعتها شر طردة.

نرى أيضا في وصف الكاتبة للزوجة الأولى قولها :

" أحلام (أمال) استيقظت يوم فقدت جنينها من الرجل (سامر) بعدما صارت زوجته الأصلية حاملا في سن الخمسة و الأربعين من عمرها ¹؛ فاستعمال لفظة (الأصلية) هنا بدل لفظة (الأولى) فيه دلالات مضمرة، فمفردة (أصلية) تحمل معاني: الثبات والقوة والجدية والرسوخ، وكأن الروائية تريد أن تقول، الأولى هي الثابتة القوية والجادة المستحكمة والراسخة، كما قد تحمل معنى الأصل المخالف للفرع، والثابت المقابل للمتغير، والتي إليها الرجوع، فهي من ترسخ معاني الشريفة، في صبرها وتحملها لمصائب الدهر والصعاب، ليستمر ثبات البيت، وكما يقول المثل: "مدحك لنفسك، فيه ذم لغيرك"، أي إذا كانت هذه صفات الزوجة الأولى لسامر، فإن زوجته الثانية، امرأة متحولة، وضعيفة زائفة...إلخ، وكل هذا التفضيل والبون الشاسع بين السيدتين، مرده إلى نسق مضمر مفاده، تمجيد صفة الأمومة، التي تدور حولها معاني الرفعة والشرف، وهو شرف ما بعده شرف، ثم إن وصف أمال بعد الطلاق، وهي مطرودة، مغلوب عن أمرها، وتوظيف تقنية التذكر، التي تستعملها أمال، والتي تستدرجها ذاكرتها نحو خطيبها مراد، وصف فيه تيه وضياح، والتيه من الوحدة، والوحدة عندها استيقظت، وتعززت يوم فقدت جنينها أي يوم فقدت أمومتها، وغيرها من الصفات التي فقدتها وحرمت منها.

حتى عندما تنتقل إلى الزاوية الأخرى، وبالضبط إلى بيت مراد الذي تزوج بعد نقض أمال للخطبة، بامرأة خمسينية تملك سيارة وشقة، فإننا نجد أول من يتذمر من هذا الوضع

¹ - زينب لوت، حريم زحل، دار غراب للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2020، ص12

هو الذاكرة ذاتها، والتي تعبر عن تدميرها بالعويل، أي بكاء وصراخ ونحيب بصوت مرتفع، فالمرأة الخمسينية بلغت سن اليأس وضاعت فرصة الأمومة، ولم تغنها ممتلكاتها شيئا، إذ عددها الكاتبة بصيغة النكرة و التبويض "سيارة"، شقة، بعض أحلامها التي تعرت...¹ حتى الأحلام القليلة صارت عارية.

وإذا تساءل القارئ عن موطن الظاهر والمضمّر في الرواية، يمكن أن نقول له، يكمن المضمّر في الآتي:

مراد تزوج بالموظفة بحثا عن السعادة في المال، ولم يجد السعادة
أمال تزوجت من سامر المسن بحثا عن السعادة في المال ولم تجدها. الظاهر للمتلقى
أن السعادة في الحب، وليست في المال، لكن المضمّر هو أن المحك الحقيقي للسعادة هو
الأمومة، التي أثبتت كنسق أن بحضورها تحضر السعادة وبغيابها تندثر.
وعندما تنتقل إلى القصة الثانية المعنونة بـ (الساق العاري)، والتي تأتي فيها جميلة من
اسبانيا إلى حي شعبي بالجزائر، باحثة عن شقيقها التوأم حامد، الذي حرمت منه هي وأُمها (ماريا)
بسبب الأب المتوفى، فالظاهر أن الرابط المحرك هو الأخوة فقط، لكن الذي يجعل بنتا
تشد الرحال من اسبانيا قاطعة البحر الأبيض المتوسط، وصولا إلى حي القصبة بالعاصمة
الجزائرية، مغامرة بنفسها بين الرجال متبرجة وسط مجتمع لا تعرف عاداته وتقاليده،
ومرهقة نفسها، هو شيء مضمّر أخص وأدق من الأخوة، هو تحفيز ذلك الشخص الذي تربت
وترعرعت على يديه، والرابط الباقي بين التوأمين جميلة و حامد (من زاوية جميلة التي قامت
بالمبادرة) هو الأم ماريا، إذا صانع الحدث هو نسق الأمومة المضمّر.

وعلى الرغم من التباين بين العيش في حي شعبي و ركام المباني وكيس خبز، وبين العيش
في اسبانيا، يرفض حامد اسبانيا التي يدفع من أجلها خيرة الشباب أموالهم، ليركبوا موج
البحر قاصدين الضفة الأخرى، ومنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، ومنهم من لفظه
البحر جيفة منتفخة، أما هو فيشد عنهم بفكره، واصفا جدران القصبة و جدته بأنفاسه التي
يستحيل عليه المغادرة وتركها، وبعد الإلحاح والرفض تركب جميلة موجة النسق الأمومي،
لترأوده بشوق الأم الذي يضعف أمامه كل جبار عنيد، ولأن نسق الأمومة المسيطر بامتياز،

¹ - المصدر نفسه، ص12.

فإننا نرى حامد يرفض عرض أخته واستعطافها له بالأم ماريًا قائلاً: "لا أم لي"¹، وهذا هروب صريح من الأمومة، لكنه هروب من الأمومة إلى الأمومة، فقد قال: "ربتني جدتي بين جدران القصة، كيف أترك أنفاسي هنا و أتبعك..."²

والجدة كما هو معلوم هي أم، ولها أولوية الحضانة شرعا وقانونا عند غياب الأم. وبعد رفض حامد وانقطاع أمل جميلة من مرافقته إياها، ترمي سترتها التي أعطائها لها الشيخ حامد، معبرة بذلك عن نية مغادرة القصة وسكانها، وبعد هذا اليأس ورمي الأخ خلف الظهر، تعود أدراجها قاصدة اسبانيا وأمها ماريًا، وفي ذلك عودة إلى الأصل و الرجوع إلى النسق الأمومي المسيطر.

ثم عند سقوط المطر الغزير اختبأت تحت سقف أحد المنازل، القديمة ومن ثمة "تطلب منها إحدى النساء الدخول فتجد مدفأة حجرية يحوم حولها الأطفال وأرغفة خبز ساخن، وحساء لا يزال فوق النار"³

ذلك البيت العتيق البالي، ظاهر من قبله القدم و باطنه فيه الرحمة، لأن جميلة حين دخلت فارة من هول المطر والبرد والجو المضطرب، وجدت الدفء المنبعث، وامرأة تناولها المنشفة لتجفف شعرها، فرحة مسرورة بأطفالها الذين يلعبون ويتشاجرون أمام ناظرها، والمتأمل في حركة جميلة يجد أنها انتقلت من وضع الوحدة (الشارع) إلى وضع (الأنس) في البيت وذلك ما يدل عليه لعب الأطفال، ومشاجراتهم التي ترفع لواء الحياة والحيوية، مدفوعة بنسق الأمومة المضمر

ثم إن من عطف على جميلة من البرد والمطر، وهي هاربة إلى أمومة ماريًا في اسبانيا، هي أمومة بقصة الجزائر، هي نفسها الأمومة التي حولت البيت البالي العتيق إلى بيت مفعم بالرحمات، ودافئ بالبسمات، ثم كان للأمومة الفضل الأكبر في عودة جميلة لتعانق شقيقها سامر.

¹ - زينب لوت، حريم زحل، ص24.

² - المصدر نفسه، ص 24.

³ - زينب لوت، حريم زحل، ص25

أما في قصة (فواتير مؤجلة) فنرى الكاتبة تصور مشهد ساعي البريد، الذي يحوم بدراجته الهوائية من حي إلى حي، حاملا الرسائل المختلفة بين فواتير ماء وكهرباء وغيرها، إلى بيوت المواطنين، ثم تقوم بعملية تكبير المشهد وتقريبه للقارئ، مشهد المرأة التي هجرها زوجها تاركا إياها كالمعلقة، دون أن يظهر عنه خبر منذ زمن بعيد، وحين استلمت رسالته التي كتب فيها "اشتقت لك، وإلى الأبناء كيف حال علي ومحمد، وزينب وامينه وبدر..."¹

إن الشخصية الرئيسية في القصة هي شخصية اتسمت بالحكمة، ما جعلها توطن نفسها على الصبر وتمنيها برسائل، كسراب بقية يحسبه الظلماء ماء... رسائل تكتبها بنفسها، وتضعها في علبة البريد المركزي، لكي يحملها ساعي البريد، ويأتها بها من جديد، أمام بناتها على أساس أن والدهم هو من كتبها.

ما قامت به البطلة في هذه القصة، هو تصرف حكيم، ويعتبر في علم النفس ترتيبا للسلوك العاطفي، وتهذيبا للنفس بالسلوك السوي، وهذا تصرف نفسي لا يصدر إلا من امرأة يحركها نسق الأمومة، الذي تبرز من خلاله الروائية، كيف أن المرأة الأم، تضحي بكل شيء، وتسمح في بعض حقوقها، من أجل أن تحافظ على بيتها وتصبر على إرساء أعمدته، من أجل بناتها وأبنائها، فإن كان الأب قد هجر من غير رجعة، ولم تحمله عاطفته، ولا ضميره على التفكير في الرجوع إلى عياله، فالمرأة بدافع النسق الأمومي تكسر قامة الحرمان وتبدد ظلام الغياب، بالرسائل والخطابات الوهمية، وبهذا استطاع نسق الأمومة المضمر أن ينقل امرأة مهجورة من السعي إلى الطلاق، إلى السعي نحو الثبات، وتوطن نفسها وأبنائها على الفأل الحسن وحسن الظن بالله لعل الغائب يعود و ينجلي الكرب.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث، يمكن القول إن:

- الأمومة في مجموعة "حريم زحل" ليست مجرد ظل هامشي يُشير إلى حضور الأم الكائن أو المفقود، بل هي نسيج عميق من الانفعال والذاكرة والتوقع الاجتماعي، وهي لا تظهر دائما بشكل مباشر لكنها تظل حاضرة بقوة، كخيوط خفي يربط بين شخصيات القصص وتجاربهن.
- ليست الأمومة هنا مجرد دور تقليدي، بل حالة شعورية وثقافية تتقاطع فيها مشاعر الحب، الغياب، التوق، والواجب.

¹ - المصدر نفسه، ص 41.

نسق الأمومة المضمر في السرد النسوي الجزائري: قراءة في المجموعة القصصية "حريم زحل" لزينب
لوت

-إنّ الكتابة عبر أسلوبها السردى واللغة الضمنية تُشكّل هذا النسق بتجليات
متلاشية، تجعل الأمومة قوة خفية تتسلّل داخل النص، تُعيد صياغة الهوية الأنثوية وتعكس
انتهاك النسق الذكوري
- هذا الحضور الضمني للأمومة يكشف أيضاً عن نقد خفي للثقافة الذكورية، التي
غالبًا ما تحصر المرأة في أدوار محددة. ومن خلال هذه القصص، نجد أن الأم ليست فقط من
تُنجب، بل من تحتوي، من تُضجّي، وأحيانًا من ترفض هذا الدور حين يصبح عبئًا.

المصادر والمراجع:

1. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
2. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن النسائي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، 1998.
3. إديث كريزويل، عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993.
4. الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
5. السلي، علي محمد، تحليل النظم السلوكية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1995.
6. سعيد حجازي، سمير، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، ط1، 2001.
7. سماح عبد الفران، ثقافة النص: قراءة في السرد اليميني المعاصر، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016.
8. سعد علي المرعب جعفر، النقد الأنثوي: ديوان عبلة بنت المهدي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، 2018.
9. عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
10. عبد الله الغدّامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2005.
11. عبد الرحمان بن يطو، تيمة الأم في الرواية العربية: دراسة تحليلية مقارنة لتيمة الأمومة في الرواية العربية، مجلة دراسات نقدية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2019.

نسق الأمومة المضمر في السرد النسوي الجزائري: قراءة في المجموعة القصصية "حريم زحل" لزينب
لوت

12. علي محمد السلمي، تحليل النظم السلوكية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1995.
13. ميشيل تومس وآخرون، نظرية الثقافة، ترجمة: علي الصاوي، مراجعة: الفاروق يونس، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1997.
14. محمد حافظ إبراهيم، المؤلفات الكاملة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012.
15. محمد برادة، المرأة العربية والإبداع المكتوب، في: ملخص أبحاث مؤتمر المرأة العربية والإبداع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 26-30 أكتوبر 2002.
16. محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد الجامع للأدب النبوية، دار الصديق للنشر والتوزيع، الجبيل، السعودية، ط2، 2000.
17. نزيه أبو نضال، تمرد الأنثى في الإبداع النسوي العربي، في: ملخص أبحاث مؤتمر المرأة العربية والإبداع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 26-30 أكتوبر 2002.
18. يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
19. زينب لوت، حريم زحل، دار غراب للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2020.